



جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

مقاصد الشريعة في الصوم والحج

إعداد الدكتورة

سلمى بنت محمد بن صالح هوساوي

استاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية
بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

مسئلة م

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

العدد الثالث والثلاثون، لعام ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٤/6157

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٨٣} أَيَامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {١٨٤} (١).

عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) أنه سئل رسول الله (ﷺ): ((أي العمل أفضل؟ قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له)) (٢).

قال تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَيْهِيمَةٍ فَلْيَنْفَعُوا فِئَتًا مِّنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ (٣).

عن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: ((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)) (٤).

(١) سورة البقرة آية (١٨٣-١٨٤).

(٢) رواه النسائي.

(٣) سورة الحج، آية (٢٧-٢٩).

(٤) رواه أحمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي شرع الشرائع فأحكمها، وربط العبادات بالمقاصد فأتقنها،
وصلى الله وسلم على رسول البشرية ومعلمها، الذي بعثه الله بخاتم الأديان
وأكملها، وعلى آله وصحبه الذين أدركوا مقاصد العبادات وحكمها، فانطلقوا
يبينون للناس غايتها ومعالمها وبعد:

فإن المتأمل لنصوص الوحي في الكتاب والسنة ولأحكام الشريعة يلاحظ
وبجلاء أنها لكونها ربانية وعالمية وصالحة لكل زمان ومكان، اشتمالها على
الحكمة الظاهرة والمصلحة البينة، إذ إن المولى (ﷺ) لم يكفنا بالعبادات لأجل
الاشفاق علينا، أو لمجرد الامتثال فحسب، إنما شرعها الله سبحانه وتعالى لحكم
عظيمة ومصالح كبيرة، قد يوفق الملهم إلى إدراك بعضها وتغيب عنه كثير
منها، ولذا نجد أن علماء الإسلام قد اهتموا بهذا الجانب وأبرزوه، وهم في ذلك
بين مقل ومستكثر، كل ذلك لإظهار عظمة هذا الدين وجمال هذه الشريعة،
وكمال حكمة المشرع سبحانه ولطف علمه وخبرته جل وعلا، ومن هذا المنطلق
أحببت أن أعرج على شيء من مقاصد الشريعة في عبادتين من العبادات التي
أمرنا الله بهما وهما الصيام والحج وحكمها الباهرة.

خطة البحث

الفصل الأول: المقاصد وفيه مباحث.

- المبحث الأول: تعريف المقاصد.
- المبحث الثاني: تعريف الشريعة.
- المبحث الثالث: أهمية علم المقاصد.

الفصل الثاني: مقاصد الشريعة في الصوم وفيه مباحث.

- المبحث الأول: تعريف الصوم.
- المبحث الثاني: الصوم في الكتاب والسنة.
- المبحث الثالث: مقاصد الصوم في ضوء الشريعة.

الفصل الثالث: مقاصد الشريعة في الحج وفيه مباحث.

- المبحث الأول: تعريف الحج.
- المبحث الثاني: الحج في ضوء الكتاب والسنة.
- المبحث الثالث: مقاصد الحج في الشريعة.

الفصل الأول

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: في تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني: في تعريف الشريعة لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثالث: أهمية علم المقاصد في الشريعة.

المبحث الأول

تعريف المقاصد

المقاصد لغة:

جمع مقصد، وهو مصدر ميمي، وهو موضع القصد أو الوجه^(١) ويعني القصد، والقصد لغة يُطلق على ثلاثة معاني: الاعتماد، والأُم، والعزم على الشيء والتوجه إليه، يقال قصدته، وقصد إليه إذا أمه^(٢) جاء في صحيح البخاري: ((فقصدت لعثمان حتى خرج من الصلاة))^(٣).

استقامة الطريق قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايَزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤).
أي طريقاً مستقيماً لا اعوجاج واضح مستقيم.

التوسط في الأمور، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾^(٥).

المقاصد في الاصطلاح:

إن المتتبع لكتب العلماء والفقهاء المتقدمين لا يجد في مؤلفاتهم تعريفاً واضحاً يعبر عن مفهوم المقاصد والمراد منها، رغم استعمالها لهذا الاصطلاح في كتاباتهم، وفي سياقات مختلفة، وجل ما ذكروه من المقاصد لا يتجاوز المعنى اللغوي للقصد.

(١) المعجم الوسيط (٦/٧٤٤).

(٢) لسان العرب: قراءة في علم مقاصد الشريعة (٣/١).

(٣) المعجم الوسيط (٦/٧٤٤).

(٤) سورة النحل آية (٩).

(٥) سورة لقمان آية (١٩).

فقد عرفها الأمدي^(١): "المقصود من شرع الحكم إما جلب مصلحة أو دفع مضرة أو مجموع الأمرين"^(٢).

قال العز بن عبد السلام^(٣): "من تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص"^(٤).

بينما نجد عند الباحثين المعاصرين الذين اشتغلوا بعلم المقاصد محاولات ؛ لبيان مفهوم المقاصد.

عرفها الشيخ ابن عاشور^(٥) بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"^(٦).

(١) الأمدي هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي سيف الدين الأمدي، من مؤلفاته: الإحكام في أصول الأحكام. انظر: الأعلام (١٣٥/٥)، ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية (١/١١).

(٢) انظر

(٣) العز بن عبد السلام: هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام، سلطان العلماء مؤلفاته: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تفسير العز بن عبد السلام. انظر ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية (٣٢/٢)، طبقات الشافعية للسبكي (١٢٩/٥).

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١٦٠/٢).

(٥) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، له مؤلفات عديدة منها: مقاصد الشريعة الإسلامية، التحرير والتنوير، ينظر: الأعلام (١٧٤/٦).

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص ٣٨)، الأصول العامة الجامعة للفتاوى (١٩/١).

وعرفها الفاسي^(١): "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي رمى إليها الشارع الحكيم عند تقريره كل حكم من أحكامها".
وقال بعضهم: "هي القيم العليا التي تكمن وراء الصيغ والنصوص يستهدفها التشريع كليات وجزئيات".
وعرفها اليبوبي: "المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح لعباده"^(٢).

(١) هو علال بن عبد الواحد الفاسي الفهري، من مؤلفاته مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ينظر: معجم المؤلفين (٦/٧٤).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص ٣٨).

المبحث الثاني تعريف الشريعة

الشريعة لغة:

الشرع والشريعة المشرعة هي المواضع التي ينحدر الماء منها، والشريعة والشريعة في كلام العرب هي شرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون^(١) ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٢).

والشريعة الطريقة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾^(٣).
أما الفعل "شرع" بمعنى سن وبين قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾^(٤).

الشريعة في الاصطلاح:

للعلماء في تعريف الشريعة تعريفات متعددة منها:
قال ابن تيمية^(٥): "اسم الشريعة والشرع والشرعة ينتظم كل ما شرعه الله

(١) لسان العرب (١/٣٥٤)، مقاييس اللغة (٣/٢٠٣)، مختار الصحاح (٣٣٥).

(٢) سورة المائدة آية (٤٨).

(٣) سورة الجاثية آية (١٨).

(٤) سورة الشورى آية (١٣).

(٥) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، فصيح اللسان، =

من العقائد والأعمال"^(١).

وعرفها غيره فقال: "الشريعة ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه (ﷺ) في الديانة، وعلى السنة الأنبياء (ﷺ) قبله، والحكم منها للناسخ"^(٢).
عرفها القطان^(٣): "بأنها ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، ونظم الحياة في شعبها المختلفة لتحقيق سعادتهم في الدين والآخرة"^(٤).

=قلمه ولسانه من مؤلفاته: الإيمان، درء تعارض العقل والنقل، اقتضاء الصراح

المستقيم. انظر: الأعلام (١/٤٤٤)، هدية العارفين (١/٥٦).

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٦/١٩)، مقاصد الشريعة الإسلامية ص(٣٢).

(٢) المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام ص(٢١).

(٣) القطان: هو الشيخ مناع خليل القطان، كان مدرساً بكلية الشريعة ثم مديراً لمعهد القضاء،

ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من مؤلفاته: مباحث في علوم القرآن.

(٤) المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام ص(٢١).

المبحث الثالث

أهمية العلم بالمقاصد

ترجع أهمية مقاصد الشريعة إلى اعتبارات مهمة جعلت علماء الشريعة يولونها عنايتهم، ويوجهون إليها اهتمامهم بالبحث والدراسة وسبب هذا الاهتمام يكمن في:

(١) تجاوب المقاصد مع الخصائص العامة التي تتميز بها الشريعة الإسلامية من حيث كونها شريعة ربانية عالمية متوازنة واقعية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان^(١).

(٢) إدراك علماء الشريعة الإسلامية أن نصوصها وأحكامها معقولة المعنى، ومبنية على النظر والاستدلال، فالمسلم وإن كان يتلقى التكاليف بروح القناعة واليقين بأحقيتها، ويطبقها وهي تملؤه الثقة بخيريتها، إلا أن ذلك لا يمنع من التماس الحكمة من تشريعها، ومحاولة الوقوف على أسرارها ومعانيها، لأن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لذاتها، وإنما قُصد بها أمور أخرى هي معانيها، والمصالح التي شرعت لأجلها^(٢).

قال ابن القيم^(٣): "إلا أنه ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أن خفاء هذه الحكم أحياناً لحكمة شاءها سبحانه، لا يعني عدم وجودها، ما لا يعني عدم الإذعان

(١) انظر: الإسلام مقاصده وخصائصه ص(١٠٠).

(٢) الموافقات للشاطبي (٣٨٥/٢).

(٣) ابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية فقه، أصولي، ومحدث من مؤلفاته: إعلام الموقعين عن رب العالمين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مفتاح دار السعادة، إعلام المقعين، ينظر: الأعلام (٥٦/٦)، بغية الوعاة (٦٢/١).

للتشريع إلا بمعرفة الحكمة والعلّة، فالشارع في أحكام العبادات أسرار لا تهتدي العقول إلى إدراكها على وجه التفصيل، وإن أدركتها جملة^(١).

(٣) إن التماس مقاصد الشريعة وأهدافها ينسجم مع الفطرة وهو أساس مهم بُني عليه هذا الدين. قال الله تعالى: ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

والمقصود بالفطرة الجبلية التي خلق الله تعالى الإنسان عليها بوصفه، إنساناً، يملك عقلاً يستطيع به اكتساب المعرفة وعنده المرونة والقابلية للطاعة، وفيه ميل إلى حب الاستطلاع، والوقوف على معنى كنه الأشياء، لذا كان معرفة ما يكمن وراء الأوامر والنواهي من الأسرار والمعاني من الجوانب التي تحرص عليها الشريعة الإسلامية، ولذلك نجد أن كثيراً من الأحكام الشرعية جاءت معللة، ووردت مقرونة بذكر الحكمة من تشريعها^(٣).

ففي الحديث عن حكمة الصلاة قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾^(٤). وفي الصيام يقول الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٥). وغير ذلك كثير^(٦).

(١) إعلام الموقعين (٢/٨٨).

(٢) سورة الروم آية (٣٠).

(٣) الموافقات للشاطبي (٢/٣٨٥).

(٤) سورة العنكبوت آية (٤٥).

(٥) سورة البقرة آية (١٨٣).

(٦) انظر: الإسلام مقاصده وخصائصه ص(١٠١).

الفصل الثاني

مقاصد الشريعة في الصوم

وفيه مباحث.

- المبحث الأول: تعريف الصوم.
- المبحث الثاني: الصوم في الكتاب والسنة.
- المبحث الثالث: مقاصد الصوم في ضوء الشريعة.

المبحث الأول

تعريف الصوم لغة واصطلاحاً

الصوم في اللفظة:

بأن الصوم لغة مصدر صام يصوم وصياماً مأخوذ من مادة (ص و م) التي تدل على إمساك وركود في مكان^(١) من ذلك صوم الصائم، وهو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه، ويكون الإمساك عن الكلام صوماً، قال أهل اللغة في قوله تعالى:

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾^(٢) إنه الإمساك عن الكلام أي الصمت، وأما الركود فيقال للقائم صائم.

وقال ابن منظور: الصوم ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام.

وفي الحديث قال النبي (ﷺ): ((قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي)) قال أبو عبيد: إنما خص الله تبارك وتعالى الصوم بأنه له وهو يجزي به، وإن كانت أعمال البر كلها له وهو يجزي بها؛ لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان أو فعل فتكتبه الحفظة، إنما هو نية في القلب وإمساك عن حركة المطعم والمشرب.

الصوم في الاصطلاح:

يذهب المختصون في علم الشريعة على أن الصوم في الاصطلاح له تعاريف عديدة؛ فعرفه الجرجاني^(٣) في كتابه مختصر منهاج القاصدين بأنه:

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣٢٣/٢)، لسان العرب لابن منظور (٣٥٠/١٢) - (٣٥١).

(٢) سورة مريم آية (٢٦).

(٣) الجرجاني، مختصر منهاج القاصدين (ص ٤٤).

"الإمساك عن الأكل والشرب والجماع، وسائر المفطرات يوماً كاملاً بنية الصيام من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وقيل هو إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة"^(١).

والصوم في اصطلاح الفقهاء اختلفت تعريفاتها وهي على النحو التالي:

تعريف الحنفية:

الإمساك عن أشياء مخصوصة، الأكل والشرب والجماع، بشرائط مخصوصة^(٢).

تعريف المالكية:

الإمساك عن شهوتي البطن والفرج وما يقوم مقامهما من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية قبل الفجر أو معه في غير أيام الحيض والنفاس وأيام العيد^(٣).

تعريف الشافعية:

الإمساك عن المفطرات على وجه مخصوص مع النية^(٤).

تعريف الحنابلة:

الإمساك عن أشياء مخصوصة بنية في زمن معين من شخص مخصوص^(٥).

(١) الجرجاني، مختصر منهاج القاصدين (ص ٤٤).

(٢) بدائع الصنائع (٧٥/٢).

(٣) الفواكه الدواني (٩٦٨/٢)، حاشية الصاوي (٢٣٤/٣).

(٤) مغني المحتاج (٤٢٠/١)، حاشية البجيرمي على الخطيب (٤٠٩/٦).

(٥) المغني (٣/٣)، كشف القناع (٢٩٩/٢)، حاشية البجيرمي على الخطيب (٤٠٩/٦).

المبحث الثاني

أدلة مشروعية الصوم في ضوء الكتاب والسنة

صوم رمضان فرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة والأصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

أولاً: الصوم في القرآن الكريم.

(١) قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

(٢) قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٢).
ثانياً: الصوم في السنة النبوية.

تزخر السنة النبوية الشريفة بالعديد من الأحاديث التي رُويت عن النبي (ﷺ) والتي دلت على وجوب الصوم أو فضله ومنها.

(١) قال رسول الله (ﷺ): ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان)) (٣).

(١) سورة البقرة آية (١٨٣).

(٢) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٣) صحيح البخاري (كتاب الإيمان) باب قول رسول الله (ﷺ) بني الإسلام على خمس، (٥٦/١).

٢) عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال: (أخبرني بما فرض الله علي من صيام، فقال: شهر رمضان إلا أن تطوع)^(١).

٣) عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) أنه سأل رسول الله (ﷺ): ((أي العمل أفضل؟ قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له))^(٢).

ثالثاً: الإجماع.

وقد انعقد إجماع المسلمين على وجوب صيام هذا الشهر الكريم^(٣).

(١) المرجع السابق، (كتاب الصيام)، باب وجوب الصيام (٥/٤).

(٢) سنن النسائي، (فضل الصيام) (٤/٤٧٤)، صحيح ابن حبان (٨/٢١٣).

(٣) الحاوي في فقه الشافعي، باب الأصل في وجوب الصيام (٣/٣٩٥) المغني (٣/٣).

المبحث الثالث

مقاصد الشريعة في الصوم

من استعراضنا للآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن الصوم، يتبين لنا اهتمام القرآن والسنة النبوية بالصوم كركن من أركان الإسلام الخمسة، حيث أوضحت وجوب الصوم، ودلالاته العميقة في تحقيق كثير من المقاصد ولعل من أهمها ما يلي:

١- تحقيق التقوى:

إن من أعظم مقاصد الصيام وحكمه وأسراره، تحقيق التقوى لله (ﷻ) في نفس الصائم، إذا أنه يؤول بصاحبة إلى تقوى الله تعالى لما فيه من قهر النفس، وكسر الشهوة، فهذه العبادة التي يترك فيها المرء محبوبات النفس من المأكول والمشرب وغيرها من الملذات تعبدًا لله (ﷻ) لا يمكن أن تتم دون مراقبة لله (ﷻ) واستحضار لمعيته سبحانه.

ولذا أشار المولى جل وعلا إلى هذه الحكمة العظيمة في معرض تقريره لفريضة الصوم حيث يقول سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

ويقول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِد مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة آية (١٨٣).

(٢) سورة البقرة آية (١٨٥).

لذا كان الصيام سرّاً بين العبد وربّه جلّ وعلا، لا يطلع عليه سواه وإن كان العباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، إلا أن تركه ذلك لأجل الله (ﷻ) لا يطلع عليه أحد سواه سبحانه وذلك حقيقة الصيام^(١).

٢- نعيم التوبة:

إن حاجة الإنسان إلى التوبة المتجددة حاجة ضرورية بحكم طبيعته البشرية الخطاءة كما بين النبي (ﷺ) بقوله: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون))^(٢) قال الألباني: حسن.

فإذا كان كل عبد خطاء كان لا بد له من صفة ملازمة له، وهي أن يكون تواباً وهذه الصفة أي التواب ليست بالسهل امتلاكها، وهي صفة محمودة ولهذا مدح سبحانه عبده داود لاتصافه بها إذ قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٣) أي تواب كثير التوبة.

ومن أهم مقاصد الصيام أنه جاء ليكسب العبد هذه الصفة العظيمة التي يحتاجها في مسيرة حياته المملوءة بالأخطاء والعثرات، فرمضان شهر ليس فقط ليتوب فيه المرء، وإنما يتدرب فيه المرء على اكتساب صفة التواب. فإن رمضان حُصل لهذا الغرض بالذات كما يتبين من خلال مجموعة من النصوص، حيث جاء عن النبي (ﷺ) قوله: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))^(٤).

(١) تفسير الماوردي النكت والعيون (٢٣٧/١)، زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٩/٢).

(٢) سنن ابن ماجه (باب ذكر التوبة) (١٤٢٠/٢)، سنن الدارمي (باب التوبة) (٣٩٢/٢).

(٣) سورة ص آية (١٧).

(٤) صحيح البخاري (باب صوم رمضان احتساباً) (١٦/١)، صحيح مسلم (باب الركعتين

اللذان كان يصليهما النبي بعد العصر) (٥٢٣/٢).

٣- تزكية النفس ونظهيرها:

من حكم الصوم ومقاصده وأسراره، تزكية النفس وتطهيرها وتهذيبها مما أصابها من درن الذنوب والمعاصي، ولقد أخبر المصطفى (ﷺ) عن ما في الصيام من الثواب الجزيل والأجر العظيم، سواء أكان صيام الفرض أو غيره، حيث جاء عن النبي (ﷺ) قوله: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))^(١).

قال ابن الهمام^(٢) في كتابه فتح القدير: "أن الصوم يسكن النفس الأمارة، ويكسر سورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج، ولذلك قيل إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء، وإذا شبعت جاعت كلها"^(٣).

ولذا قال النبي (ﷺ): ((الصيام جنة))^(٤)، أي درع واقية من الإثم في الدنيا ومن النار في الآخرة، وبهذا يحقق الصيام غاية تزكية النفس وتطهيرها ووقايتها من الشرور والآثام.

(١) سبق تخريجه.

(٢) ابن الهمام محمد بن عبد الواحد السيواسي، المعروف بابن الهمام، من علماء الحنفية، من مؤلفاته: فتح القدير، التحرير في أصول الفقه، انظر: الأعلام (٦/٢٥٥)، البدر الطالع (٢/١٩٤).

(٣) شرح فتح القدير (٢/٣٠٠)، مجمع الأنهار في شرح ملتقى الأبحر (١/٣٤٠).

(٤) صحيح مسلم (باب الركعتين اللتان كان يصليهما النبي بعد العصر) (٢/٦٠٨).

ويقول ابن القيم^(١): "وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته أيدي الشهوات"^(٢).

٤- النسلح بالصبر:

من الصفات المهمة التي يحققها الصيام صفة الصبر، وهي صفة ضرورية لأداء العبادات وضرورية لاجتناب المنكرات، وشهر رمضان فرصة لتحقيق هذا الغرض لأنه يتمثل فيه صبر الطاعة وصبر المعصية، ولهذا سماه الرسول (ﷺ) شهر الصبر حيث يصبر فيه المسلم على الاجتهاد في الطاعات من صيام وصلاة وقيام وتلاوة للقرآن، ويقمع نفسه ويقهرها على ألم الصبر على الجوع والظما فمن استطاع قمع نفسه ومنعها عن الأكل والشرب استطاع منعها من ارتكاب المحرمات^(٣).

ولما كان الصيام يحقق الصبر اشتركا معاً في الأجر والثواب المفتوح، فقال الله عن الصيام: ((كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله (ﷻ): إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه،

(١) ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب، من كبار الفقهاء، تتلمذ على شيخ الإسلام وهذب كتبه له تصانيف كثيرة منها: مفتاح دار السعادة، أعلام الموقعين، ينظر ملاحق تراجم الفقهاء (٥/١١).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/٢٩).

(٣) من حكم الشريعة وأسرارها (ص ٦٧).

وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك^(١).

٥- تقوية الإرادة:

من المقاصد الأساسية لرمضان أنه شرع لتقوية الإرادة في الإنسان، وتغليب حكم العقل على الشهوة فمتى ما قويت الإرادة كفه الصوم عن الشهوات عن المعاصي طيلة الشهر بكامله، كما يحثه على الاجتهاد في الطاعات وفعل الخيرات^(٢).

٦- إضعاف دواعي الشر:

ومن حكم الصيام وأسراره، إضعاف دواعي الشر، إذ إن الصيام بما يتضمنه من إكبات لله، وخضوع بترك محبوبات النفس ومشتهياتها، يؤدي إلى إضعاف نوازع الشر في النفس البشرية ودواعيه، وقد جاء في الصحيحين من حديث صفية زوج النبي (ﷺ) أنه قال: ((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم))^(٣).

ولذا أمر النبي (ﷺ) من لم يستطع النكاح فعليه بالصيام، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))^(٤).

(١) صحيح البخاري (كتاب الصيام) باب هل يقول إني صائم إذا شتم (٢٤/٤)، صحيح مسلم

(باب حفظ اللسان للصائم) (٨٠٦/٢).

(٢) من حكم الشريعة وأسرارها (ص ٦٦).

(٣) صحيح مسلم، (باب يستحب لمن روي خالياً بامرأة وكانت محرماً أن يقول أنها فلانة)

(١٧١٢/٤).

(٤) صحيح البخاري، (باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة) (٢٦/٣).

٧- إنقاء المعاصي أو كف النفس عن الهوى:

من المعلوم أن من معاني التقوى اجتناب المعاصي، والصيام جاء كذلك ليربي المرء على الابتعاد عن المعاصي والسمو بالنفس الإنسانية والرقى بها وتطهيرها من مردول الأخلاق وذميم الصفات، ولذا أمر النبي (ﷺ) الصائم البعد عن اللغو والرفث والكلام البذي، فحقيقة الصيام تقتضي صيام الجوارح من سمع وبصر ولسان، وهو ما بينه الرسول (ﷺ) في أحاديث عدة منها قوله: ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))^(١). وقد تضافرت أقوال الصحابة (رضي الله عنهم) في هذا المعنى فعن جابر بن عبد الله قال: ((إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل فطرك وصومك سواء))^(٢).

تلك هي جملة المقاصد التي جاء الصيام لتحقيقها وإذا تحققت أحد أهم أغراض الشريعة الإسلامية ألا وهو التقوى.

٨- نذكر الفقراء والمحرومين:

ومن مقاصد الصيام وحكمه إن فيه تذكيراً للنفس وتنبهاً لها بما يلاقيه الفقراء والمحرومون من مرارة الجوع وألم الحرمان، فيوجه ذلك تنبيهاً للنفس وحثاً لها على مواساتهم والإحسان إليهم، وكونه موجباً للرحمة والعطف على

(١) فضائل الأوقات، (باب فيمن عرف حدود هذا الشهر وحفظ حقوقه) (١/١٨٦).

(٢) صحيح البخاري (باب من لم يدع قول الزور) (٣/٢٦)، الترمذي (باب التشديد في الغيبة) (٣/٨٧).

المساكين، فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، ذكر هذا من حالة في عموم الساعات فتسارع إليه الرقة والرحمة^(١).

وإمعاناً من الشارع الحكيم في ترسيخ ذلك في نفوس الصائمين، نجده يحث ويرغب في تفتير الصائمين ويرتب على ذلك الثواب الجزيل، فعن زيد بن خالد الجهني (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً))^(٢).

٩- منافع صحية:

ومن مقاصد الصيام وحكمه وأسراره، حفظ الصحة، إذ أن فضول الطعام والشراب ثورت أوجاعاً وأمراضاً عدة، والصيام يطهر البدن من تلك الفضلات الضارة، ولقد استعمل حذاق الأطباء ومن قديم الزمان الصوم كعلاج للأمراض عديدة وقالوا: إنه أمان من كثير من الأمراض المزمنة^(٣). ولذا قال طبيب العرب الحارث بن كلدة: "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"^(٤).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (كتاب الصوم) (٢٤٢/٦).

(٢) سنن ابن ماجه (باب في ثواب من فطر صائماً) (٥٥٥/١)، من حكم الشريعة وأسرارها (ص٦٦).

(٣) انظر الحاوي في الطب للرازي (٦٦٦/٣)، من حكم الشريعة وأسرارها (ص٦٦).

(٤) انظر الطب النبوي لابن القيم (ص٨٢)، وزاد المعاد (١٠٤/٤).

الفصل الثالث

مقاصد الشريعة في الحج

وفيه مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الحج.
- المبحث الثاني: الحج في ضوء الكتاب والسنة.
- المبحث الثالث: مقاصد الحج في الشريعة.

المبحث الأول تعريف الحج

الحج في اللغة:

الحج في اللغة مصدر قولهم حج يحجّ وهو مأخوذ من مادة (ح ج ج) التي تدل على القصد، يقال: حَجَّه يَحَجُّهُ حَجًّا: قصده^(١). وقيل الحج القصد لمعظم. قال الجرجاني: قصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة^(٢).

تعريف الحج في الاصطلاح:

تعريف الحنفية: قصد الكعبة لأداء أفعال مخصوصة، أو هو زيارة مكان مخصوص في زمن مخصوص بفعل مخصوص^(٣).
تعريف المالكية: القصد إلى مكة المشرفة للنسك^(٤).
تعريف الشافعية: قصد الكعبة للنسك^(٥).
تعريف الحنابلة: قصد مكة للنسك في زمن مخصوص^(٦).

-
- (١) انظر: تاج العروس، مادة (حجج) (٤٥٩/٥)، لسان العرب (٢٢٦/٢)، تهذيب اللغة (٤٢٠/١)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣/١٧).
(٢) التعريفات (١١١/١).
(٣) الدر المختار (١٨٩/٢)، تبين الحقائق (٢/٢).
(٤) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل (٤١٨/٣).
(٥) المجموع شرح المهذب (٢/٧).
(٦) كشف القناع (٣٧٥/٢).

المبحث الثاني

أدلة الحج في القرآن الكريم والسنة النبوية

١- الحج في القرآن الكريم:

لقد ورد الحج في مواضع في كتاب الله الكريم، حددت وجوبه وأهميته كشعبيرة وفريضة أساسية في الإسلام وما تتضمنها من مقاصد دينية وتربوية واجتماعية واقتصادية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾^(١).

قال تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾^(٢).

قال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْوَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾^(٣).

٢- الحج في السنة النبوية:

المنتبج لمصادر السنة النبوية الشريفة يلحظ أنها تتضمن العديد من الأحاديث التي رويت عن النبي (ﷺ) فيما يتعلق بفريضة الحج، الركن الخامس

(١) سورة آل عمران آية (٩٦-٩٧).

(٢) سورة الحج آية (٢٧-٢٨).

(٣) سورة البقرة آية (١٩٧).

من أركان الإسلام، حيث تطرقت لأحكامه ومقاصده ففي الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((بُني الإسلام على خمس، شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان))^(١).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: خطبنا رسول الله (ﷺ)، فقال: ((أيها الناس قد فر الله عليكم الحج فحجوا)) فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها (ثلاثاً). فقال رسول الله (ﷺ): ((لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم))^(٢).
عن معاذ التميمي (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: ((إيمان بالله وحده، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال، كما بين مطلع الشمس إلى مغربها))^(٣).

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: ((سئل النبي (ﷺ) أي الأعمال أفضل؟ قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا؟ قال جهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور))^(٤).

٣- الأجماع.

الحج ركن من أركان الإسلام وقد أجمع المسلمون على وجوبه في العمر مرة واحدة^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم (باب فرض الحج مرة في العمر) (٩٧٥/٢)، عون المعبود (باب فرض الحج) (١٠٠/٥).

(٣) مسند أحمد (٣٥٠/٣١)، مجمع الزوائد (باب فضل الحج والعمرة) (٤٧٦/٣).

(٤) صحيح البخاري (باب فضل الحج المبرور) (٣١٣/٢).

المبحث الثالث

مقاصد الشريعة في الحج

١- تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله:

من أهم مقاصد الحج التوحيد والبراءة من الشرك، ولعل من أهم شواهد ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ (١) .
وقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۝ (٢) .

ومما يدل على ذلك أيضاً إن شعار الحج وهي التلبية لا تخرج عن إعلان توحيد الله (ﷻ) وإخلاص العبادة لله وحده، والقدر المتفق عليه من تلبية النبي (ﷺ) هو: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)).

وهناك ارتباط كذلك بين قضية الذبح وهو منسك من مناسك الحج وبين التوحيد، فقد بين تبارك وتعالى أنه لا يجوز الذبح على اسم غيره من الأصنام أو الأولياء.

قال تعالى: ﴿ وَإِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ ۚ فَالْهَكْمُ إِلَهُ ۚ وَجَدُّ فَلَهُ ۚ أَسْلِمُوا ۚ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝ (٣) .

(١) سورة التوبة آية (٣).

(٢) سورة البقرة آية (١٩٦).

(٣) سورة الحج آية (٣٤).

قال القرطبي: "فأمر الله تعالى عند الذبح بذكره، وأن يكون الذبح له، لأنه رازق ذلك، ثم رجع اللفظ من الخبر عن الأمم الحاضرين بما معناه، فالإله واحد لجميعكم، فكذا الأمر في الذبيحة إنما ينبغي أن تُخلص له"^(١).

٢- نزكية النفس للوصول إلى حقيقة التقوى:

إن الحج كما أنه يهدف إلى تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله، فإنه يهدف كذلك إلى تزكية النفس وتحليتها بالأخلاق الكريمة والصفات الطيبة، حتى تشرق النفس وتسمو على الشهوات المهلكة والشبهات المضلة.

ومما يدل على ارتباط التزكية بالتطهير أو التحلية بالتحلية أن الله تعالى بعد أن نهى عن الرفث والفسوق والجدال في الحج قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۗ فَمَنْ فُضِّضَ فِيهَا فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ۗ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

قال ابن كثير: "لما نهاهم عن إتيان القبيح قولاً وفعلاً، حثهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزئهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة"^(٣).
والوصول إلى مرتبة التقوى في الحج يكون بإخلاص النية لله تعالى، وذلك بأن يكون الباعث على أداء هذا النسك هو طاعة الله وتقواه، لا للرياء والسمعة، أو السياحة^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥٨/١٢).

(٢) سورة البقرة آية (١٩٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٤٧/١).

(٤) الحج أحكامه وأسواره منافعه (٥١).

٣- تعظيم حرمان الله وشعائره:

إن من مقاصد الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة، أن يكون الحاج معظماً حرمان الله وشعائره، غير منتهك شيئاً منها بقول أو فعل، فليس الحج مجرد الذهاب والمجيء لأداء المناسك دون استشعار معاني التعظيم لله ودون احترام وصيانة حرمان الله وشعائره.

ولقد ذكر الله تعظيم حرمانه وشعائره حيث قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ (١).

والصحيح أن التعظيم للحرمان والشعائر يشمل فعل المأمور وترك المحذور، ولكنه يتجاوز ذلك إلى المعاني التي ذكرها السعدي (٢) رحمه الله من الإجلال والمحبة والقيام بها وتكميل العبودية فيها على خير وجه، فليس الأمر مجرد فعل المأمور وترك المحذور دون استشعار تلك المعاني العظيمة.

٤- تطهير النفس من الأخلاق المذمومة:

من مقاصد الحج أنه بمثابة دورة تدريبية يتخلص فيها الإنسان من خلال المذمومة التي ألفها، وتساهل في علاجها ودفعها، فتراكمت عليه عبر سنى حياته وأيام عمره.

فهو وفقه للمراجعة والمحاسبة، وفرصة سانحة يتفقد الإنسان من خلالها نفسه، ويتتبع الصفات المذمومة التي علقت به، فيخرجها وينفيها، والصفات

(١) سورة الحج آية (٢٩-٣٠).

(٢) انظر مقاصد الحج في القرآن الكريم، د. عادل علي الشدي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٤) ذو القعدة ١٤٢٩ هـ، (ص ٤٢).

الكريمة فيبقيها وبينمياها، وقد نبه الله سبحانه وتعالى على أهمية ترك الرذائل في الحج فقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (١).

٥- تحقيق معاني الوحدة والأخوة الإسلامية:

من أهم مقاصد الحج تحقيق معاني الوحدة والأخوة الإسلامية، ففي الحج يجتمع المسلمون من جميع البلاد، من مختلف الأجناس في صعيد واحد، وبذلك تتقارب قلوبهم، وتجتمع كلمتهم وتنظم صفوفهم، وتتوحد المقاصد في العلوم الدينية والدينية (٢).

وفي هذا يقول تبارك وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْأَبْيَاسَ الْفَقِيرَ﴾ (٣).

٦- تحقيق مبدأ المساواة:

مبدأ المساواة يتجلى واضحاً في الحج حيث يجتمع المسلمون من كل جنس، ولون ووطن في صعيد واحد لباسهم واحد وعملهم واحد ومكانهم واحد ووقتهم واحد وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر، ووحدة في الهدف، ووحدة في العمل، ووحدة في القول.

(١) سورة البقرة آية (١٩٧).

(٢) من حكم الشريعة وأسرارها (ص ٨٣).

(٣) سورة الحج آية (٢٨).

عن أبي نضرة قال حدثني من سمع خطبة رسول الله (ﷺ) سلم في وسط أيام التشريق فقال: (إن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)^(١).

٧- استمرار الوحدة الإسلامية:

من مقاصد الشريعة الإسلامية في الحج، أن هذا الاجتماع العالمي وسيلة مهمة لبقاء الوحدة الإسلامية واستمرارها، لأنه يربط جميع الشعوب والبلدان الإسلامية بمهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وبذلك يعمل على العارف والاختلاط والامتزاج والتزاور بين المسلمين، ويكون هذا في الوقت نفسه تدريجياً على التسامح والإغضاء عن الفوارق الشكلية التي لا يخشى أن تحدث صدعاً في كيان الجماعة العظمى^(٢).

ومن ناحية أخرى نجد أن الحج يعمل على هدم مخططات أعداء الإسلام في تمزيق هذه الأمة وتوهين شأنها وخرق نطاق العزلة عليها وتقطيع أوصال العالم الإسلامي، وجعل كل قطر من أقطاره غريباً عن الآخر.

(١) المسند الجامع (٥٧/٤٧)، مسند أحمد (٤٧٤/٣٨).

(٢) انظر: نخبة الأزهار للأستاذ محمد عبد الله دراز (ص ١٩٨-٢٠٤).

الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على تيسيره وإعانتة على إتمام هذه الدراسة التي اختتمها ببعض النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

أولاً: أبرز النتائج.

- اتضح من خلال الدراسة أن من أهم مقاصد الصوم والحج - في ضوء ما حددته الشريعة الإسلامية - ما يلي:
- تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، وتجديد التوبة للإنسان المليئة بحياته بالأخطاء.
- التسلح بالصبر باعتباره وسيلة ضرورية لأداء العبادات واجتناب المنكرات.
- تركية النفس المسلمة وتمكينها من الوصول إلى حقيقة التقوى وتحليلتها بالأخلاق الفاضلة.
- تعظيم حرمة الله وشعائره.
- تحقيق معاني الأخوة والوحدة الإسلامية، والعدالة والمساواة بأسمى معانيهما.
- تحقيق المنافع الصحية والاقتصادية والاجتماعية.

ثانياً: أهم التوصيات:

- أن تقوم الأسرة وكافة المؤسسات التعليمية على تربية الفرد المسلم على تعظيم حرمة الله وشعائره من خلال جميع ما يتوافر لديها من وسائل وإمكانات.
- أن يقوم الباحثون في مختلف المجتمعات الإسلامية بتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى بعض الناس حول مقاصد هاتين الشعيرتين من خلال

دراسة وافية ؛ لبيان أهمية هذه المقاصد والحاجة الماسة إلى استحضارها في نفس كل مسلم وفي أية مرحلة من مراحل حياته.

- أن تبادر وسائل الإعلام بمختلف صورها، سواء المرئية أو المسموعة أو المكتوبة ببث برامج دينية للتوعية بمقاصد الشريعة في الصوم والحج.

المصادر في المراجع

القرآن الكريم.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ) صحيح البخاري ط١، الناشر: دار طوق النجاة.
- الجرجاني، علي بن محمد، ١ (١٤١١هـ)، التعريفات، ط١، القاهرة: دار الكتاب المصري.
- ابن حبان، محمد، (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، صحيح ابن حبان، ط٢، بيروت، الرسالة.
- أبو داود، سليمان السجستاني، د.ت، سنن أبي داود، د، ط، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الرملي، شمس الدين محمد (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، نهاية المحتاج، د.ط، بيروت: دار الفكر.
- الرازي، محمد أبي بكر، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) مختار الصحاح، د.ط، جدة: دار القبلة للثقافة.
- الزركلي، خير الدين (٢٠٠٧) الأعلام، ط١٧، بيروت: دار العلم للملايين.
- الزعترى، علاء الدين، د.ت، قراءة في علم المقاصد، د.ط.
- الظهار، رواية أحمد (١٤٢٦هـ) المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، ط١.
- العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين د.ت، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، د.ط الناشر: دار المعارف.

- ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٧، بيروت.
- ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، أسرار الشريعة من أعلام الموقعين، الرياض، دار المسير.
- ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب، د.ت، مفتاح دار السعادة، د.ط، بيروت دار الكتب العلمية.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، د.ت، إعلام الموقعين، د.ط، بيروت دار الجيل.
- الحصكفي، علاء الدين محمد ١٣٨٦هـ، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، د.ط (بيروت، دار الفكر).
- ابن فارس، أبي الحسين (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) مقاييس اللغة د.ط، الناشر: اتحاد الكتب العرب.
- القرطبي، محمد بن أحمد (١٤٢٣هـ)، الجامع لأحكام القرآن، د.ط (الرياض: عالم الكتب).
- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) المغني، ط٦، (الرياض: دار عالم الكتب).
- ابن منظور، جمال الدين محمد (٢٠٠٨م) لسان العرب، ط٦، بيروت: دار صادر.
- القزويني، محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد، د.ت سنن ابن ماجه، د.ط بيروت: دار الفكر.
- الكاساني، علاء الدين (١٩٨٢م) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، د.ط (بيروت: دار الكتاب العربي).

- الماوردي، علي بن محمد (١٤١٤هـ) الحاوي في فقه الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية.
- النفراوي، أحمد بن غنيم، د.ط الفواكه الدواني الناشر: مكتبة الثقافة.
- اليوبي، محمد سعد (١٤٣٠هـ) مقاصد الشريعة الإسلامية، دار: ابن الجوزي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

الملحق (أ)

فهرس الايات

الرقم	الآية	اسم السورة	الآية	الرقم
١	١٨٣	البقرة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا ﴾	٣
٢	٢٧	الحج	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ ﴾	٣
٣	٩	النحل	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا ﴾	٩
٤	١٩	لقمان	﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ ﴾	٩
٥	١٨	الجاثية	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾	١٢
٦	١٣	الشورى	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾	١٢
٧	٤٨	المائدة	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾	١٢
٨	١٩٦	البقرة	﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾	٣٦
٩	٣٤	الحج	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا يَذْكُرُوا ﴾	٣٦
١٠	٢٩	الحج	﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ ﴾	٣٨
١١	١٩٧	البقرة	﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ	٣٧

مقاصد الشريعة في الصوم والحج

			﴿ فِيهِ ﴾	
٣٩	٢٨	الحج	﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ ﴾	١٢
٢٤	١٧	ص	﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾	١٣
١٥	٤٥	العنكبوت	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِرَبِّ الصَّلَاةِ تَهْنِ ﴾	١٤
٢١	١٨٥	البقرة	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾	١٥
١٩	٢٦	مريم	﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ﴾	١٦
١٥	٣٠	الروم	﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ ﴾	١٧

الملحق (ب)

فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
١	سئل رسول الله (ﷺ) أي العمل أفضل قال: ((عليك بالصوم فإنه لا عد له))	٣
٢	الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.	٣
٣	((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا..))	٢١
٤	((أخبرني بما فرض الله علي من الصيام، فقال))	٢٢
٥	((الصيام جنة))	٢٥
٦	((كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف))	٢٦
٧	((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم))	٢٧
٨	((من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أعض للبصر وأحصن للفرج))	٢٧
٩	((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة))	٢٨
١٠	((من فطر صائماً كان له مثل أجره))	٢٩
١١	((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))	٢٤
١٢	((أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا))	٣٥
١٣	((أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله وحده، ثم حجة برة تفضل))	٣٥

مقاصد الشريعة في الصوم والحج

٤٠	((إن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي))	١٤
٢٨	((إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك))	١٥
٢٩	المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء	١٦

الملحق (ج)

فهرس الاعلام

الرقم	الاسم	الصفحة
١	الأمدي	١٠
٢	العز بن عبد السلام	١٠
٣	ابن عاشور	١٠
٤	علال الفاسي	١١
٥	ابن تيمية	١٢
٦	مناع القطان	١٣
٧	ابن القيم	١٤
٨	ابن الهمام	٢٥

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	التمهيد
٤	المقدمة
٥	خطة البحث
٧	الفصل الأول: المقاصد
٩	المبحث الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً
١٢	المبحث الثاني: تعريف الشريعة لغة واصطلاحاً
١٤	المبحث الثالث: أهمية علم المقاصد
١٧	الفصل الثاني: مقاصد الشريعة في الصوم
١٩	المبحث الأول: تعريف الصوم لغة واصطلاحاً
٢١	المبحث الثاني: الصوم في ضوء الكتاب والسنة.
٢٣	المبحث الثالث: مقاصد الصوم في الشريعة
٣١	الفصل الثالث: مقاصد الشريعة في الحج
٣٣	المبحث الأول: تعريف الحج لغة واصطلاحاً
٣٤	المبحث الثاني: الحج في ضوء الكتاب والسنة
٣٦	المبحث الثالث: مقاصد الحج في الشريعة
٤١	الخاتمة.
٤٣	المصادر والمراجع
٤٦	فهرس الآيات
٤٨	فهرس الأحاديث
٥٠	فهرس الأعلام
٥١	فهرس الموضوعات